

النظام الدولي من "نهاية التاريخ" إلى "نهاية نهاية التاريخ":

تحليل المفهوم الاستراتيجي لحلف الناتو بين 2010 و2022

International Order from "The End of History" To "The End of History's End: Analysis of NATO strategic concept between 2010 and 2022

عبد النور منصور، جامعة محمد بوضياف المسيلة، (الجزائر)

abdenmour.mansouri@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2024 /11/07 تاريخ القبول: 2024 /12/14 تاريخ النشر: 2024 /12/17

ملخص: تحاول الدراسة رسم سمات النظام الدولي قيد التشكل وتحوله من نهاية التاريخ الذي أعلن انتصار النموذج الليبرالي ونهاية هذه المرحلة ببدء تراجع المنظومة الغربية خاصة مع بداية الحرب الروسية الأوكرانية، وهو ما يعكسه تطوّر المفهوم الاستراتيجي للناتو بين 2010 و2022. تستعين الدراسة بتحليلات كلّ من جون ميركايمر وإيمانويل تود التي تؤكد وجود تراجع هيكلي لمنظومة الناتو الأوروبية والنظام الدولي تحت القيادة الأمريكية، ممّا يشكّل مقدّمات لنظام دولي لم تتشكّل ملامحه بعد. وتفترض الدراسة أنّ المفهوم الاستراتيجي 2022 يشكّل صورة للتحديات الخارجية بالنسبة للحلف الممثلة في صعود المنافسة الاستراتيجية، بما يمهد لنظام دولي قد يكون متعدّد الأقطاب، ولذلك تمّ استعمال المنهج المقارن لتوضيح تغيّرات البيئة الاستراتيجية الدولية بين 2010 و2022 من وجهة نظر الناتو. وشملت الدراسة المقارنة بين المفهومين الاستراتيجيين 2010 و2022 وموقعهما في التفكير الاستراتيجي للناتو، وبيان علاقة الناتو بالنظام الدولي، وصعود

*- المؤلف المرسل

المنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد والتحوّل من السلام الليبرالي إلى فرضيات انهيار النظام الدولي، وكذا عوامل انقسامه عبر استعراض نهاية أسطورة نهاية التاريخ ومظاهر التراجع الأمريكي، وتحديّ المحافظة على وحدة المنظومة الأوروأطلسية. كلمات مفتاحية: حلف الشمال الأطلسي الناتو، المفهوم الاستراتيجي 2010، المفهوم الاستراتيجي 2022، النظام الدولي، نهاية التاريخ.

Abstract:

The study attempts to draw the characteristics of the international order and its transformation from the end of history that declared the victory of the liberal model and the end of this stage to the beginning of the decline of the Western order, especially with the beginning of the Russian-Ukrainian war, which is reflected in the development of NATO's strategic concept between 2010 and 2022. The study draws on analyses by John Mearsheimer and Emmanuel Todd that confirm the structural regression of the Euro-Atlantic and the international order under American leadership. The study examined the comparison between the Strategic Concepts 2010 and 2022, the NATO relationship with the international order, the rise of strategic competition and authoritarianism, the transition from liberal peace to the hypotheses of the international western order's collapse, the end of the "end of history," the different aspects of the American decline, the difficulty of maintaining the unity of the Euro-Atlantic order, and the stalemate of international legitimacy.

Keywords: International Liberal order, NATO, NATO 2022 Strategic concept, NATO 2010 Strategic concept, The End of History.

● مقدمة

يشكّل حلف الناتو أحد مرتكزات النظام الدولي، فيما تمثّل المفاهيم الاستراتيجية تحييناً لاستراتيجيته ووثائق تاريخية مهمّة لفهم تحولات المشهد الدولي. واستجابة للتغيرات الجوهرية في البيئة الاستراتيجية، أقرّ الحلف "المفهوم الاستراتيجي: الناتو 2022" في جوان 2022. تحاول الدراسة التعرف على سمات

النظام الدولي قيد التشكّل عبر تطوّر المفهومين الاستراتيجيين للناتو 2010 و2022، وأهمّها عودة الحرب إلى أوروبا وتصاعد المنافسة الاستراتيجية. ولفهم الموضوع من الداخل، ستستعين الدراسة بتحليلات كلّ من جون ميركايمر وإيمانويل تود التي تؤكّد وجود تراجع هيكلي للمنظومة الأوروبية مما يقدّم لنظام دولي لم تتحدّد ملامحه بصفة نهائية.

تسعى الدراسة الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي ملامح النظام الدولي الذي ترسمه التطوّرات المرصودة في المفهوم الاستراتيجي 2022 مقارنة بمفهوم 2010؟ وللإجابة على هذه الإشكالية تفترض الدراسة تحول النظام الدولي من أسطورة "نهاية التاريخ" وفقاً لفرانسيس فوكوياما التي سادت بعد نهاية الحرب الباردة إلى "نهاية نهاية التاريخ"، وهو ما يبيّنه وجود تحدّيات خارجية لحلف الناتو لخصّها المفهوم الاستراتيجي: الناتو 2022 في صعود المنافسة الاستراتيجية، إلى جانب عوامل الانقسام داخل النظام الدولي، ما يرسم ملامح بيئة استراتيجية دولية جديدة خلفاً للقطبية الأحادية. وقد اعتمدت الدراسة على مجموعة من الدراسات السابقة، وهي:

Emmanuel Todd, La défaite de l'Occident, 2024.

يؤكّد إيمانويل تود في كتابه "هزيمة الغرب" المنشور في 2024 أنّ الغرب أصبح معزولاً دولياً عقب الحرب الروسية الأوكرانية، وأنّ هزيمته أصبحت حتمية بسبب ديناميات التدمير الذاتي أكثر منها بسبب التهديد الروسي. ويفترض تود هزيمة الغرب بسبب اندثار الدولة القومية جزاء عوامل متعدّدة كغياب الطبقة الوسطى؛ وغياب قيم وهوية اجتماعية موحّدة تحفّز الدولة الأمّة؛ ودينية بسبب ما يسميه "موت" البروتستانتية؛ ووضع الولايات المتحدة بتوسّعها الدبلوماسي والعسكري وتراجعها الصناعي والاقتصادي. Erik Ringmar, History of International Relations: A Non-European Perspective, 2019.

يشير إريك رينغمار في كتابه "تاريخ العلاقات الدولية: مقارنة غير أوروبية" المنشور في 2019 إلى أنّ النظام الدولي ظاهرة تاريخية محدودة في الزمن. وأنّ النظام الدولي الحالي هو نظام أوروبي نشأ بمعاهدة واستفاليا، وتوسّع حتّى بلغ العالمية. اقترح رينغمار مقارنة يدعوها النظم الدولية المقارنة، حاول من خلالها تقديم رؤية متوازنة لتاريخ العلاقات الدولية، بعيداً عن المركزية الأوروبية التي تعتبر وجودها بداية العالم ونهايته الأخيرة، ليثبت أنّ النظام الدولي في النهاية ليس قدراً خالداً، وهو ما يفرض منهجياً مراجعة التصوّر الأوروبي للتاريخ العالمي، والتطلّع نحو دراسة مؤشّرات ظهور النظام الدولي المقبل، وهو ما تحاول الدراسة تلمّسه.

Andrea Gilli & al, « Strategic Shifts and NATO's new Strategic Concept,» NATO Defense College, june 2022.

وهي دراسة لأندريا جيلي وآخرين تحمل عنوان "التغيرات الاستراتيجية والمفهوم الاستراتيجي الجديد للنااتو" قدّمت في إطار سلسلة الأبحاث لمعهد النااتو للدفاع، وعملت على تحليل البيئة الاستراتيجية الجديدة للنااتو وأهمّ التغيرات التي رصدها المفهوم الاستراتيجي 2022. وهي دراسة مهمّة باعتبارها تحليلاً من داخل منظومة النااتو.

وقد استخدمت الدراسة المنهج المقارن لإبراز تغيّرات البيئة الاستراتيجية الدولية بين 2010 و2022 من وجهة نظر النااتو، وبالتالي البحث في أهمّ تطوّرات النظام الدولي. وقسمت الدراسة إلى ثلاثة محاور، يتناول المحور الأوّل تقديماً للمفهومين الاستراتيجيين 2010 و2022، ويتناول المحور الثاني المنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد وفرضيات انهيار النظام الليبرالي، فيما يتناول المحور الثالث عوامل انقسامه عبر استعراض مظاهر التراجع الأمريكي ونهاية أسطورة نهاية التاريخ، وتحديّ وحدة المنظومة الأوروبية وأطلسية ومازق الشرعية الدولية.

1. المفهومان الاستراتيجيان 2010 و2022

يتشكّل النظام الدولي وفق جون ميركايمر من مجموعة من المؤسّسات الدولية التي تساعد في حوكمة التفاعلات بين الدول الأعضاء، وهو لا يجلب بالضرورة السلم والأمن، بل قد يتضمنّ الصراعات والفوضى.¹ والقوى الكبرى هي التي تؤسّس النظم الدولية في شكل مؤسّسات دولية تحكمها قواعد تعتقد أنّها تحقّق مصلحتها. ويشمل النظام الدولي الحالي مؤسّسات دولية مختلفة اقتصادية مثل منظّمة التجارة العالمية، وأمنية كحلف الشمال الأطلسي النااتو ومعاهدة عدم نشر الأسلحة النووية، وبيئية كمعاهدة باريس، وأخرى متنوعة كالاتحاد الأوروبي والأمم المتّحدة.²

قادت الولايات المتّحدة نظامين دوليين بعد الحرب العالمية الثانية، نظام الحرب الباردة والنظام الدولي الليبرالي، فنظام الحرب الباردة لم يكن لا عالمياً ولا ليبرالياً، بل كان نظاماً محدوداً وواقعياً، لأنّه كان مقتصرّاً على المعسكر الغربي، بينما أصبح عالمياً وليبرالياً مع نهاية الحرب الباردة بتوسّع مؤسّساته الدولية في ظلّ القطبية الأحادية الأمريكية.³ وبغضّ النظر عن كون النااتو تحالفاً عسكرياً، فهو يمثّل ركيزة أساسية للنظام الدولي الليبرالي وجزءاً مهمّاً من مجموع الآليات السياسية والاقتصادية والعسكرية

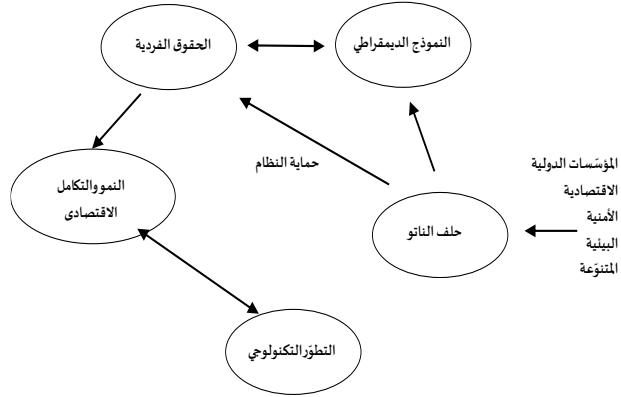
¹ John J. Mearsheimer, "The Rise and Fall of the Liberal International Order," International Security vol 43, n°4, Spring 2019, Harvard College and the Massachusetts Institute of Technology, USA, p. 9.

² Ibid, pp. 9-10.

³ Ibid, p. 10.

لحماية المؤسسات الديمقراطية والحقوق الفردية التي أتاحها النمو الاقتصادي وعززت التكامل الاقتصادي والدفاع المشترك والتطور التكنولوجي.¹

الشكل رقم 1: موقع حلف الناتو في النظام الدولي



المراجع: من إعداد الباحث وفق تصوّر أندريا جيلي وآخرين

خلافاً للنظرة الديمقراطية الرومانسية، فإنّ وجود الناتو منذ تأسيسه في 1949 واستمراره يردّ على الانتقادات الموجهة للأنظمة "غير الديمقراطية" التي يشكّل المكوّن العسكري طرفاً أساسياً في المنظومة السياسية والاقتصادية فيها. وهو ما يؤكّد قاعدة جوهرية في أيّ نظام وطني/دولي، وهي أنّ وجود القوة العسكرية حتمية واقعية لحماية مشروع التطور والتنمية. وقد يجيب كذلك على التساؤل حول دواعي استمرار الحلف رغم غياب التهديد الأمني المباشر عقب نهاية الحرب الباردة وانفلات عقد حلف وارسو المنافس. نظرياً، يجسّد الناتو نظرية العقد الاجتماعي الليبرالية التي فسّرت نشأة الدولة ومنحتها أدوات السيادة، وأهمّها حقّ احتكار الإكراه الشرعي لحماية الحرّية الفردية، ما أنتج مفهوم الدولة الحارسة. وحيث أنّه يلعب دور "المؤسسة الحارسة" فهو "الأداة الواقعية للمنظومة الليبرالية"، ويعني عملياً أنّه يحتكر القوة في النظام الدولي/الغربي وأنّ استمرار الأخير مرتبط باستمراره.

يقابل المفهوم الاستراتيجي التخطيط الاستراتيجي في المنظّمات الذي يحدّد رسالة المنظّمة وأهدافها، ويحلّل بيئتها الاستراتيجية بهدف صياغة الخطّة العملية وحشد الموارد المادّية والبشرية وتحديد آلياتها التنفيذية.

¹ Andrea Gilli & al, **Strategic Shifts and NATO's new Strategic Concept**, NATO Defense College – NDC Research Papers Series, NDC Research Paper 24 – june 2022, Rome, Italy, p. 5.

والمفهوم الاستراتيجي هو الوثيقة الرسمية التي ترسم استراتيجية الناتو، من خلال الرسالة التي تبين ماهيته في سياق زمني معيّن والغرض من وجوده، وتحدّد مهامّه الأمنية الأساسية، وتوصيف بيئته الداخلية والخارجية والتحديات والفرص التي يواجهها، وتحديد نهجه إزاء الأمن بكلّ أبعاده، وتوجيه تكيفه السياسي والعسكري.¹ وهو يعكس استجابة الناتو الفكرية وتفاعله مع تطوّرات بيئته الاستراتيجية، كما ثبت من خلال تحديث المفهوم الاستراتيجي ثمان مرّات بداية من 1949 إلى غاية 2022. ويلحق بالمفهوم الاستراتيجي وثائق عسكرية تفصيلية، فقد كان العسكريون بشكل أساسي هم المسؤولون على تحرير المفاهيم الاستراتيجية خلال الحرب الباردة، وقد كانت وثائق سرّية تعرض على الهيئات السياسية في الحلف للمصادقة عليها. ثمّ تغيّر الوضع مع نهاية الحرب الباردة، بتولّي المكوّن السياسي مسؤولية صياغة المفاهيم الاستراتيجية بعد استشارة العسكريين. ويعود السبب في هذا التحوّل إلى أنّ الحلف تبنّى منذ عام 1999 تعريفاً أوسع نطاقاً لمفهوم الأمن، يمثّل فيه الجانب العسكري بعداً واحداً ضمن أبعاد متعدّدة. وقد رفع الطابع السري عن المفاهيم الاستراتيجية الأربعة المعتمدة بعد 1991. عرف الناتو فترتين متميزتين لتطوّر التفكير الاستراتيجي لديه هما فترة الحرب الباردة والتي بعدها، إذ تميّزت الفترة من 1949 إلى 1991 في المقام الأوّل بالدفاع والردع، وعرفت ظهور أربعة مفاهيم استراتيجية مصحوبة بوثائق عسكرية تحدّد التدابير التنفيذية لتطبيقها. ومع نهاية الحرب الباردة اعتمدت ثلاثة مفاهيم استراتيجية في 1991، و1999 و2010 لتحديث استراتيجية الحلف. في ظلّ المفهوم الاستراتيجي 2010، وعقب هجمات الحادي عشر سبتمبر 2001، توسّعت قائمة التهديدات لتشمل الإرهاب، وانتشار أسلحة الدمار الشامل، والحرب الهجينة، والتكنولوجيات الجديدة، فيما ساهمت قوّات الحلف في التدخل العسكري خارج المنطقة الأوروأطلسية في أفغانستان.

وفي 30 جوان 2022 بالعاصمة الإسبانية مدريد عقدت قمّة الناتو لتناول العديد من المواضيع التي تضغط على الحلف، وأهمّها تأثيرات الحرب الروسية الأوكرانية والواقع الأمني الجديد في أوروبا والعالم ككلّ. ودرست القمّة سبل مواجهة تحديات أخرى، مثل تزايد نفوذ الصين وأثار تغيّر المناخ على الأمن. ولأوّل مرة، شهدت القمّة مشاركة دول من المحيطين الهندي والهادئ وهي أستراليا، واليابان، ونيوزيلندا

¹ NATO, Les concepts stratégiques, 15/07/2022, le lien: <https://rb.gy/udnoss>, accédé le 10/26/22.

وكوريا الجنوبية.¹ وأصدرت القمة مجموعة من القرارات يمكن تصنيفها إلى قرارات استراتيجية، وعسكرية ومالية كما هو مبين في الجدول رقم 1 .

يقول رئيس وحدة التخطيط بالناتو بينديتا بيرتي أنّ العقد الماضي قد قوّض الافتراضات المركزية التي شكّلت المفاهيم الاستراتيجية السابقة، وهو ما يعكس تغيّر البيئة الاستراتيجية للحلف بصفة جوهرية وفق مفهوم 2022، لأنّ انتشار السلام في المنطقة الأوروأطلسية، وغياب قوى دولية منافسة على الصعيد العالمي، والطابع التعاوني للنظام الأمني الدولي أصبحت تصوّرات غير مناسبة لوصف البيئة الأمنية الراهنة، وهي تتجاوز الفرضيات التي قام عليها التحليل الاستراتيجي للحلف بعد الحرب الباردة.

الجدول رقم 1 قرارات قمة مدريد 2022

المجال المالي	المجال العسكري	المجال الاستراتيجي
زيادة الاستثمار في الناتو والتمويل المشترك	الموافقة على تقديم الدعم المستمر لأوكرانيا في شكل حزمة شاملة من المساعدات	اعتماد المفهوم الاستراتيجي 2022
الالتزام بتخصيص 2 في المائة من الناتج المحلي الإجمالي للدفاع بحلول عام 2024	تعزيز الدفاع وقدرات الجماعات القتالية في الجزء الشرقي من التحالف، في اتجاه روسيا؛ رفع القوات عالية الاستعداد إلى أكثر من 300 ألف جندي	الالتزام بالنظام الدولي المبني على القيم المشتركة وهي الحرية الفردية وحقوق الإنسان، والديمقراطية وسيادة القانون
إطلاق صندوق الناتو للابتكار، بقيمة مليار دولار على مدى السنوات 15 المقبلة، لتمويل الشركات الناشئة في مجال تطوير تقنيات مزدوجة الاستخدام كالذكاء الاصطناعي، بهدف تعزيز الريادة التكنولوجية	مواجهة التهديدات الناشئة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا ومنطقة الساحل	دراسة النفوذ المتزايد لروسيا والصين في الحدود الجنوبية للتحالف
	الالتزام بمكافحة الإرهاب وفق مقاربة 360 درجة	توجيه دعوة رسمية لفنلندا والسويد للانضمام إلى الناتو
		متابعة وتحليل أزمة الغذاء الناجمة عن غزو روسيا لأوكرانيا
		اعتماد تدابير جديدة لدعم تونس وموريتانيا كشركاء
		مواصلة العمل بشأن المساواة بين الجنسين،

¹ NATO: « Le sommet de Madrid se clôt sur des décisions très importantes visant à transformer l'OTAN, 30-Jun.-2022, » 10/7/2022, sur le lien: <https://t.ly/CPSbs>, accédé le 30/11/2023.

المرجع: من إعداد الباحث بناءً على بيانات الحلف

أعادت الحرب العدوانية الروسية ضدّ أوكرانيا الحرب الشاملة إلى أوروبا، ممّا ساهم في تدهور أوسع للسلم والأمن الأوروبيين داخلياً، وعلى نطاق أوسع، فإنّ المنافسة الاستراتيجية للحلف أضحت تشكل تهديداً للبيئة الأمنية العالمية.¹ بالنسبة لبريتي وجب على الناتو التفكير في سبل الحفاظ على الريادة ومواجهة التحدّيات الراهنة بناءً على التكيّف العسكري والسياسي من خلال تعزيز قوّة الردع والدفاع، وتحسين الجهوية التكنولوجية، وتوسيع الدور السياسي العالمي والتعاون مع الشركاء، سواءً في جواره المباشر أو البعيد، مع التأكيد على الدور الأساسي للرابطة الأوروبياتلسية لضمان أمن الحلفاء والدفاع عنهم.²

2- المنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد: من "السلام الليبرالي" إلى "الشرّ الاستراتيجي غير الليبرالي"

انتقل النقاش بعد الحرب الباردة من حالة النشوة بنهاية التاريخ والرجل الأخير لفرانسيس فوكوياما إلى مناقشة فرضية/حتمية انهيار النظام الليبرالي الغربي والبدائل المحتملة خاصّة بعد الحرب الروسية الأوكرانية. وبالنسبة للناتو كانت المرحلة الممتدّة بين المفهومين الاستراتيجيين 2010 و2022 مرحلة للسلام والارتخاء الأمني يمكن وصفها بـ "السلام الليبرالي/الأمريكي"، فقد أشاد المفهوم الاستراتيجي 2010 بالسلام المحقّق وعدّه نجاحاً لسياسات الحلف، فقد كان الفضاء الأوروبي "يتمتّع بالسلام، والتهديد بشنّ هجوم تقليدي على أراضي الناتو احتمال منخفض، وهو نجاح تاريخي لسياسات الناتو المطبّقة لأكثر من نصف قرن.³ وعلى خلاف هذه الأجواء "الوردية"، تميّز البيئة الاستراتيجية بعد 2022 بتهديدات عالمية مترابطة، سنعرض إليها مركّزة من خلال مآزق التمدّد الأوروبي وتحدّي الصعود الصيني والآسيوي.

¹ Benedetta Berti, "Foreword" in Andrea Gilli & al, **Strategic Shifts and NATO's new Strategic Concept**, NATO Defense College – NDC Research Papers Series, NDC Research Paper 24 – june 2022, p. xv.

² Ibid, p. xvi.

³ OTAN, **Concept stratégique pour la défense et la sécurité des membres de l'Organisation du Traité de l'Atlantique Nord**:

تشبه المرحلة الحالية من وجود الناتو التي تبدأ نظرياً من فيفري 2022 بمرحلة التأسيس في عالم شديد التنافسية ومختلف اختلافاً جوهرياً،¹ وهو ما أشار إليه الأمين العامّ للحلف في ختام قمة مدريد بقوله إننا نعيش "أخطر ما عرفناه منذ عقود".² وأخطر يميّز هذه البيئة الاستراتيجية الجديدة تلك "الحرب العدوانية لروسيا ضدّ أوكرانيا التي حطّمت السلام الأوروأطلسي وغيّرت البيئة الأمنية بشكل خطير، لأنّه غزو وحشي وغير قانوني لا يزال يشهد انتهاكات متكرّرة للقانون الدولي الإنساني، وهجمات وفظائع شنيعة تخلف معاناةً ودماراً فوق الوصف".³

تغيّرت طبيعة التهديدات الأمنية التي تواجه الناتو من تقليدية إلى وجودية، فقد كانت تقليدية في المفهوم الاستراتيجي 2010، كانتشار الصواريخ الباليستية والتهديد النووي وأسلحة الدمار الشامل، لكنّها كانت تقع ضمن بيئة مستقرّة استراتيجياً بقيادة الولايات المتحدة، تصاعد فيها تأثير التهديدات اللاتماثلية التي طغت عليها الظاهرة الإرهابية التي ضخّمت إعلامياً لتحلّ أولويات السياسة العالمية، خاصّة بعد أحداث الحادي عشر سبتمبر 2001، في إطار ما سميّ بالحرب العالمية ضدّ الإرهاب، ثمّ تطوّرت في شكل تحالف دولي ضدّ تنظيم داعش في 2014 في قلب المشرق العربي. كما كانت هناك تهديدات أقلّ شأنًا كتجارة السلاح والمخدرات والبشر والتهديد الطاقوي والتهديدات السيبرانية (أنظر الجدول رقم 2).

الجدول رقم 2 التهديدات الأمنية للناتو وفقاً للمفهومين الاستراتيجيين 2010 و2022

الترتيب	التهديدات الأمنية 2010	التهديدات الأمنية 2022	التوجّهات العامة
1	التهديدات التقليدية: انتشار الصواريخ الباليستية،	التهديد المباشر: روسيا	من تهديدات تقليدية إلى تهديدات وجودية
2	التهديد النووي وأسلحة الدمار الشامل	المنافسة الاستراتيجية	عودة شبح الحرب إلى أوروبا
3	انتشار الإرهاب خاصّة في المناطق ذات	الدول الاستبدادية الصين/روسيا/إيران،	

adopté par les chefs d'État et de gouvernement au sommet de l'OTAN à Lisbonne, 19-20 novembre 2010, Division Diplomatie publique de l'OTAN, Bruxelles, Belgique, p. 11.

¹ Berti, op. cit, p. xv.

² NATO, "Remarks: by NATO Secretary General Jens Stoltenberg at the NATO Public Forum," 10/07/2024, <https://shorturl.at/jfbyW>, , accessed on 13/07/2023.

³ NATO, **NATO 2022 Strategic concept: Adopted by Heads of State and Government at the NATO Summit in Madrid 29 June 2022**, p. 1.

الأهمية الاستراتيجية للحلف	سوريا، كوريا الشمالية	
4	تهديدات غير مباشرة: صراعات خارج نطاق الحلف/التطرف/الإرهاب/النشاط الدولي للاتجار بالسلاح، والمخدرات والبشر	الإرهاب تراجع الخطر الإرهابي لصالح التهديدات الاستراتيجية
5	التهديدات السيبرانية	صراعات جنوب الحلف: إفريقيا والشرق الأوسط/إثيوبيا/السودان/فلسطين
6	التهديد الطاقوي: اضطراب مصادر الطاقة وطرق الإمداد/تبعية طاقوية لبعض دول الحلف للخارج	بؤر التوتر حول العالم/تهديدات الأمن الإنساني في العالم
7	التطور التكنولوجي في مجال الفضاء والسلاح	الصين (وإيران تحت إدارة بايدن)
8	تهديدات الموارد والبيئة: التهديد الصحي، التغير المناخي، تناقص المياه، تعاضل الاستهلاك الطاقوي	التهديدات السيبرانية
9	/	تراجع التهديدات إمكانية ارتباطها بمصادر التهديد الاستراتيجي
10	/	التحديات التكنولوجية
11	/	انتشار الأسلحة، منها البيولوجية، والنووية،... (روسيا، إيران ...)
		التغير المناخي

المصدر: من إعداد الباحث من خلال المفهومين الاستراتيجيين 2010 و2022

وأصبحت التهديدات الأمنية وجودية لأنها تهديد مباشر لاستمرار الحلف، وأجملها المفهوم الاستراتيجي 2022 في روسيا، والمنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد. ويعني وصف الناتو القوى المنافسة بالاستبداد وإعلانه الالتزام بالنظام الدولي القائم على القيم الليبرالية المؤسسة خروج المسألة الأمنية عن الاعتبارات الموضوعية والمادية إلى خانة الإيديولوجيا، ورفضه لمبدأ التعايش بين التوجهين في نظام دولي واحد جامع، أي أنّ الناتو قد اتخذ قراره بحتمية الانخراط في الصراع مع أي منافسة لموقعه الريادي.

تتميز المرحلة الحالية بالنسبة للناتو بالحرب الروسية الأوكرانية وعودة المنافسة الاستراتيجية وصعود الصين على المستوى الدولي، وهي عوامل كانت غائبة في 2010. كان ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم في 2014 سببا في تغيير المعطى الاستراتيجي للحلف، لكنّه لم يغيّر المفهوم الاستراتيجي إلّا في 2022. ويبيّن ذلك بأنّ السلوك العملياتي لدى الناتو كان أسرع من تغيير وثيقة المفهوم الاستراتيجي، وهو ما يدعو إلى التمييز بين الخطاب الأوروبي والواقع الميداني، ففي الوقت الذي أقرّ مفهوم 2010 الشراكة مع روسيا، عمل من الناحية العملية على إعادة نشر قوّاته شرقي أوروبا وجنوبها في 2017 في اتجاه روسيا.

وفي قمة بروكسل 2021، اعتمد قادة الناتو "أجندة 2030"، وهي مجموعة من التدابير التي تهدف إلى تكيف الحلف مع مستجدّات الواقع الدولي، وكلفت القمة الأمين العام بصياغة المفهوم الاستراتيجي 2022 لتحسين مهمة الحلف. وقد أكّد المفهوم على أنّ علّة وجود الحلف ومسؤوليته الرئيسية تتمثل في ضمان الدفاع الجماعي للحلفاء ضدّ جميع التهديدات مهما كان نوعها، وفق مقارنة 360 درجة. كما جدّد

القادة التزامهم بالوحدة والتضامن بين الدول الأعضاء، والقيم الديمقراطية، والرؤية المشتركة القائمة على احترام السيادة والأمن الإقليمي، وحقوق الإنسان والقانون الدولي،¹ حسب مفردات المفهوم. رسم ضمّ روسيا لشبه جزيرة القرم، بالنسبة للناتو، مشهداً جيو استراتيجياً جديداً، تميّز بعودة المنافسة الاستراتيجية التي انحسرت بعد الحرب الباردة، وتطوّر بسبب الحرب الروسية ضدّ أوكرانيا في فيفري 2022 وصعود الصين على المستوى الدولي، وهي عوامل كانت غائبة في 2010. وقد كانت الاستجابة العملية للحلف بعد 2014 سابقة لتغيير المفهوم الاستراتيجي في 2022، إذ يمكن القول بأنّ السلوك العملياتي لدى الناتو كان أسرع من تغيير وثيقة المفهوم الاستراتيجي، وهو ما يعني الحذر في التعامل مع الخطابات المعلنة كبديل عن التركيز على الواقع الميداني، ففي الوقت الذي أقرّ المفهوم الاستراتيجي في 2010 مبدأ الشراكة مع روسيا، كان من الناحية العملية يعمل على إعادة نشر قوّاته في شرقي أوروبا وجنوبها الشرقي في 2017 في اتجاه روسيا التي اعتبرت ذلك اعتداءً على أمنها القومي. وشدّدت الوثيقة كذلك محورية الرابطة الأوروأطلسية بين المكوّنين الأوروبي والأمريكي لبقائه كقوة عالمية، بعدما تعرّضت للتهميش مع نهاية الحرب الباردة والتدخّل الأمريكي في كوسوفو والبوسنة واحتلال العراق وأفغانستان، والأزمة التي برزت في ظلّ حكم الرئيس دونالد ترامب الذي تنكّر للحلفاء تحت شعار "أمريكا أولاً"، وتفضيله لعقد الصفقات واستبعاد العلاقات طويلة المدى، وهو ما كان يعني بالنسبة للأوروبيين العمل مع حليف لا يفهم معنى كلمة "حليف"، في ظلّ إمكانية إرسال رسالة على تويتر في الصباح الباكر تحوي "إشعاراً" بأنّ الولايات المتّحدة تسحب قوّاتها من أوروبا أو تغادر الناتو.² ولا زالت تصريحات المرشّح الجمهوري ترامب تسبّب الهشاشة في الحلف حيث هدّد بعدم ضمان حماية دول الناتو ضدّ روسيا، في حالة عودته إلى البيت الأبيض.³

في 2010 كان التحالف لا يعتبر أيّ دولة بعينها خصماً مباشراً، بينما حدّد في 2022 دولاً بعينها كمصدر للتهديد، أجملها المفهوم الاستراتيجي في قوى الاستبداد، ويذكر منها روسيا، والصين، وإيران وكوريا

¹ NATO, « Les concepts stratégiques, » 15/07/2022, sur le lien: <https://tinyurl.com/42zn9x5a>, accédé le 10/26/22.

² François, Heisbourg, "NATO 4.0: The Atlantic Alliance and the Rise of China," Survival, vol. 62 no. 2, April–May 2020, p. 87.

³ حسين عمارة وستيفاني ترويار، "حلف الأطلسي والولايات المتحدة: علاقة تميزت بالعديد من ثنائيات،" موقع فرانس 24، 2024/02/19، على الرابط: <https://rb.gy/d5jbfbk>، تمّ التصفّح في 2024/09/09.

الشمالية. وجعل الأمن الاستراتيجي على رأس أولوياته الأمنية المستجدة، بما يعني تحييد التهديدات التي تصدر من روسيا والصين، وهي في طليعة المنافسة الاستراتيجية والقوى الاستبدادية، فهي مصدر كل التهديدات بتحدّيها لمصالح الناتو وقيمه وأسلوب الحياة الديمقراطية، كما أنها تستثمر في قدرات تقليدية ونووية وصاروخية متطورة، مع غياب في الشفافية وعدم مراعاتها للمعايير والالتزامات الدولية، مستغلة الانفتاح وترابط الفضاء الرقمي في دول الحلف، عبر التدخل في العمليات والمؤسسات الديمقراطية، بشكل مباشر ومن خلال وكلاء. بالنسبة للحلف، تقوم هذه القوى بأنشطة تخريبية في المجال السيبراني والفضاء، وتعزز حملات التضليل، وتستخدم الهجرة، وتتلاعب بإمدادات الطاقة وتستخدم الإكراه الاقتصادي،¹ (أنظر الجدول رقم 3). وتحقيقاً للأمن الاستراتيجي أكد الحلف استمراره في العمل بتوليفة من الأسلحة النووية والتقليدية في المفهومين، وذلك بالاعتماد على القدرات النووية الأمريكية بالأساس ثم البريطانية والفرنسية.

تحوّلت روسيا بذلك من موقع الشراكة مع الناتو في 2010 إلى مصدر مباشر للتهديد في 2022، فقد كان تقرير 2013 للأمن العام السابق للحلف أندرس فوغ راسموسن قد أشاد بالمرحلة الجديدة في العلاقات التي افتتحتها قمة لشبونة 2010 في مجالات التعاون بشأن أفغانستان بين الناتو وروسيا، وتطوير التدريب في مكافحة المخدرات ومكافحة الإرهاب، مشيراً إلى مواصلة روسيا العمل في بعض المشاريع المشتركة من خلال توفير مرافق عبور كبيرة للناتو والقوات الشريكة في أفغانستان، وتطوير التعاون في مكافحة المخدرات، كما أشار ذات التقرير إلى موافقة الطرفين على مشروع التحييد الأمن للقتال المتقدمة والخطرة في منطقة كالينينغراد الروسية. وفي مجال مكافحة الإرهاب عقدت في سبتمبر 2013 مناورات 2013 Vigilant Skies المشتركة، وتمّ تقييم مشروع STANDEX للكشف عن المتفجرات التي يحملها الانتحاريون،² لكن سنة 2014 خلطت كل الأوراق.

الجدول رقم 3: التهديدات والأولويات الأمنية لحلف الناتو حسب المفهوم الاستراتيجي 2022

ترتيب التهديدات	طبيعة التهديدات الأمنية	الأولويات الأمنية
1	التهديدات الاستراتيجية	روسيا
		المنافسة الاستراتيجية
		القوى الاستبدادية
		الصين
2	الإرهاب	الأمن من الجماعات الإرهابية

¹ NATO, NATO 2022 Strategic concept..., op. cit., p. 18.

² OTAN, Rapport annuel 2013 du secrétaire général Anders Fogh Rasmussen: «Vers le sommet de 2014 et l'OTAN de demain», Division Diplomatie publique de l'OTAN, Bruxelles – Belgique, 2014.

النظام الدولي من "نهاية التاريخ" إلى "نهاية نهاية التاريخ":

تحليل المفهوم الاستراتيجي لحلف الناتو بين 2010 و2022

3	التهديدات من الجنوب (الشرق الأوسط، وشمال إفريقيا والساحل)	الأمن في مناطق النفوذ
4	التهديدات السيبرانية	الأمن السيبراني
5	التحديات التكنولوجية	الأمن التكنولوجي
6	التهديدات الكيميائية، البيولوجية، الإشعاعية والنووية	الأسلحة الكيميائية
7		البيولوجية
8		الإشعاعية
9	النووية	الأمن النووي
10	التهديدات المناخية/البيئية	
		الأمن البيئي/البيولوجي

المصدر: من إعداد الباحث من خلال المفهوم الاستراتيجي 2022

أصبحت روسيا في المفهوم الاستراتيجي 2022 أكبر تهديد مباشر لأمن الحلفاء والسلام في المنطقة الأوروأطلسية، لأنها تسعى إلى إقامة مجالات للنفوذ والسيطرة المباشرة من خلال الإكراه والتخريب والعدوان والضمّ، باستخدام الوسائل التقليدية والإلكترونية والهجينة، وهي تقوم بتحديث قوّاتها النووية وتوسيع منظومات الإمداد. كما أنّ قدرتها على تعطيل تعزيزات الحلفاء وحرية الملاحة في أقصى الشمال، وتوسّعها العسكري في البلطيق والبحرين الأسود والمتوسّط، إضافة إلى تكاملها العسكري مع بيلاروسيا تشكّل تحديات استراتيجية لأمن الناتو ومصالحه.¹

في حين كان المفهوم الاستراتيجي 2010 يعلن السعي للتعاون مع روسيا لأنه يكتسي طابعاً استراتيجياً ويساهم في إنشاء فضاء مشترك للسلام والاستقرار والأمن، "فعلى الرغم من بعض الاختلافات ما زلنا مقتنعين بأن أمن الناتو وروسيا مرتبطين وأنّ شراكة قوية وبناءة مبنية على الثقة والشفافية ستخدم أمننا".² كما وعدت الوثيقة بتسخير الإمكانيات الكاملة لمجلس ناتو-روسيا للحوار ودعم العمل المشترك مع روسيا، غير أنّ توسيع التحالف إلى دول أوروبا الشرقية يبيّن الفجوة بين الممارسة والخطاب لدى الحلف. ولفهم التحرك الروسي نحو أوكرانيا والتي تدعوها روسيا بـ"العمليات الخاصة"، ينبغي العودة إلى الاستراتيجية الكبرى التي اعتمدها الناتو بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وهي القائمة على التمدّد السياسي والجغرافي والوظيفي فيما يمكن تسميته بـ"الديبلوماسية الأمنية". فبسبب التفوّق العسكري للحلف وعدم وجود المنافسة الاستراتيجية، تمكّن الناتو خلال الحرب الباردة من التمدّد ضمن سياسة "الباب المفتوح" التي زادت عدد الحلفاء من 12 إلى 16. وبعد سقوط جدار برلين، تسارعت الوتيرة واكتسب التمدّد بعداً جديداً، فقد ارتفع عدد الحلفاء إلى 30 إضافة إلى أربع شراكات تشمل حوالي 40

¹ NATO, NATO 2022 Strategic concept..., op. cit., p. 4.

² OTAN, Concept stratégique 2010..., op. cit., p. 33.

دولة من غير الحلفاء. ساهمت الديبلوماسية الأمنية في ضمان تواجد الناتو "خارج المنطقة"، وبذلك حصل بالسلم على ما لم يحصل عليه بالحرب.

وإلى جانب توسيع العضوية تضمن الشراكة، كسلاح استراتيجي، عالمية الحلف وحضوره خارج المنطقة الأوروأطلسية، وهي بذلك استراتيجية مكّلة لها نفس القدر من أهميّة العضوية المباشرة التي تبقى محدودة من الناحية النظرية والعملية، إذ أنّ عدد الدول الشريكة تجاوز عدد الدول الأعضاء كما يبيّنه الجدولان أسفله. ساهمت سياسة الباب المفتوح في تحقيق أمن الحلفاء والاستقرار في أوروبا لفترة ما بعد الحرب الباردة، غير أنّها في المقابل كانت سبباً في الحرب الروسية الأوكرانية.

عملياً امتدّت جغرافية الحلف، فخلال الحرب الباردة، كان التحالف منحصراً في الجهة الوسطى والبحر الأبيض المتوسط وأعالي الشمال والمحيط الأطلسي. وبعد سقوط جدار برلين، تحرّكت عمليات الناتو شرقاً وجنوباً، ففي البداية صعد إلى غرب البلقان (البوسنة والهرسك وكوسوفو)، قبل أن ينتقل إلى آسيا الوسطى (أفغانستان)، والشرق الأوسط (العراق) وشمال إفريقيا (ليبيا) وخليج عدن. وفي الآونة الأخيرة، عزّز الناتو وجوده في منطقة البلطيق وفي الشرق والجنوب الشرقي، بما في ذلك منطقة البحر الأسود. وتبع ذلك توسّع سياسي ووظيفي، فتحول من الدفاع عن الأراضي قبل 1989 إلى التدخّلات الإنسانية وحفظ السلام ومكافحة التمرد، ومكافحة الإرهاب، وبناء القدرات، وإصلاح قطاع الأمن، ومكافحة القرصنة في سلسلة من العمليات خارج المنطقة، إضافة إلى مجالات جديدة، بما في ذلك الدفاع السيبراني والتهديدات الهجينة وأمن الطاقة والابتكار التكنولوجي وتحديد الأسلحة وبناء القدرات والاستخبارات المشتركة.¹

الجدول رقم 4 تطوّر عضوية الحلف منذ التأسيس

الدول الأعضاء		عدد الأعضاء الجدد	العدد الإجمالي للأعضاء
1949	الدول المؤسّسة: بلجيكا، وكندا، والدنمارك، وفرنسا، وأيسلندا، وإيطاليا، ولكسمبرغ، وهولندا، والنرويج، والبرتغال، والمملكة المتحدة والولايات المتحدة	12	12
1952	انضمام اليونان وتركيا	2	14
1955	انضمام ألمانيا الغربية	1	15
1982	انضمام إسبانيا	1	16
1999	الموجة الأولى لانضمام دول أوروبا الشرقية: بولونيا وتشيكيا والمجر	3	19
2004	الموجة الثانية لانضمام دول أوروبا الشرقية: إستونيا، وبلغاريا، ورومانيا، ولاتفيا، ليتوانيا، وسلوفاكيا وسلوفينيا	7	26
2009	انضمام ألبانيا وكرواتيا	2	28

¹ Gilli & al, op, cit., p. 6.

29	1	انضمام مونتنيغرو	2017
30	1	انضمام مقدونيا الشمالية	2020
31	1	انضمام فنلندا	2023
32	1	انضمام السويد	2024

من إعداد الباحث بناءً على بيانات الحلف

يرى تود في عمل الناتو، الأمريكيون، والبريطانيون والأوكرانيون بالأساس، سلوكاً لاعقلانياً وغير مسؤول، فروسيا كانت تكرر باستمرار بأنها لن تسمح بانضمام أوكرانيا إلى الناتو، لكن الجيش الأوكراني الذي أصبح بين أيدي مستشارين عسكريين من الناتو، جعلها عضواً بحكم الواقع، وهو ما ألجأ روسيا إلى تجسيد تهديدها بإعلان الحرب. وكان الرئيس الروسي فلاديمير بوتين قد صرح بأن "التوسع المستمر في البنية التحتية للناتو واستعمال أوكرانيا قاعدة عسكرية معادية لروسيا أمر غير مقبول".¹ وبين تود بأن الموقف الروسي تجاه أوكرانيا دفاع عن النفس عبر المقارنة بين احتلال السوفييت في 1968 لتشيكوسلوفاكيا التي كانت مساحتها 127 900 كم² وإرسالها لـ 500 ألف جندي، وبين تسخير روسيا في عملياتها الخاصة في أوكرانيا التي تبلغ مساحتها 603 700 كم² ما بين 100 و120 ألف جندي، وهو ما يعني عملياً أنها لو كانت تنوي احتلال أوكرانيا لجندت عدداً أكبر. كما أرجع توقيت ردّة الفعل الروسية في تملكها لصواريخ فوق صوتية تسمح لها بالتفوق الاستراتيجي.²

يشير رينغمار من خلال رصده لتاريخ العلاقات أنه لم يعد لأوروبا وأمريكا الشمالية الدور الأساسي في السياسة الدولية كما في القرن الماضي، كما أنّ دورهما في المستقبل سيكون أقل أهمية.³ يؤكد هذا التوجّه اعتراف الناتو رسمياً بالصعود الاستراتيجي للصين في 2019 من خلال إعلان لندن الذي اعتبر أنّ التأثير المتزايد للصين وسياساتها على المستوى الدولي يشكّل فرصاً وتحديات تتطلب استجابة موحدة من الحلف.⁴ غير أنّ المفهوم الاستراتيجي 2022 حسم الأمر بتركيزه على تحديات الصعود الصيني وتخلّى عن اعتباره فرصة يمكن الاستفادة منها.⁵

¹ Emmanuel, Todd, **La défaite de l'Occident**, éditions Gallimard, 2024, p. 4.

² Ibid.

³ Erik, Ringmar, **History of International Relations: A Non-European Perspective**, Cambridge, UK, 2019, p.

⁴ NATO, "London Declaration: Issued by the Heads of State and Government participating in the meeting of the North Atlantic Council

وللصعود الصيني مؤشرات ملموسة ومتعددة، فقد تعزّزت مقدّرات الصين بشكل لافت، إذ أنّ ناتجها المحلي الإجمالي نما بنحو 3000 في المائة في السنوات 30 الماضية، كما أنّ اقتصادها أصبح أكبر بنسبة 20 في المائة من الولايات المتحدة ممّا جعلها أكبر مصدر في العالم في سنة 2020، حيث تمثّل صادراتها 14.7 في المائة من الصادرات العالمية، مقابل 8 في المائة للولايات المتحدة. وفي مجال التكنولوجيا، توطن الصين شركات عالمية رائدة مثل Alibaba، و Tencent، و Huawei و ZTE، كما تضمّ جامعات رائدة بما في ذلك تسينغها، وبكين، وفودان وتشجيانغ. كما تحتلّ الصين المرتبة الأولى عالمياً منذ عام 2011 من حيث عدد براءات الاختراع السنوية، وشكّلت ما نسبته 43 بالمائة من جميع طلبات براءات الاختراع في جميع أنحاء العالم في 2019.¹

أكّد المفهوم الاستراتيجي 2022 توقّعات رينغمار، فهو يعكس تحوّلًا استراتيجيًا في النظام الدولي مظهره الأبرز هو صعود الصين، لكنّه يخفي وراءه انتقالاً عالمياً للقوة من المركزية الاستراتيجية، والاقتصادية التكنولوجية للمنطقة الأوروأطلسية إلى آسيا في المحيطين الهندي والهادئ، ممّا يمثّل قطيعة مع خمسة قرون ماضية.² سيكون لهذا التحوّل تأثير مباشر على النظام الدولي في العقود القليلة القادمة، في ظلّ تراجع الريادة العسكرية لحلف الناتو، وتحديات التحديث العسكري الصيني والتفوّق التكنولوجي وانتشار التقنيات المتقدمة لدى دول مثل إيران أو كوريا الشمالية التي تمكّنت من تطوير قدرات صاروخية أو إلكترونية تتحدّى استراتيجية الناتو.

الجدول رقم 5 فضاءات الناتو للشراكة

عنوان الشراكة	طبيعة الشراكة	الدول المعنية	عدد الدول
الحوار المتوسطي The Mediterranean Dialogue (MD)	برنامج التعاون مع دول البحر الأبيض المتوسط	الجزائر، مصر، إسرائيل، موريتانيا، المغرب، الأردن وتونس	7
الشراكة من أجل السلم The Partnership for Peace (PfP)	برنامج للتعاون الثنائي العملي مع الدول الشريكة في المنطقة الأوروأطلسية	أرمينيا، المجر، أذربيجان، بيلاروسيا، البوسنة والهرسك، جيورجيا، إيرلندا، كازاخستان، كيرغيزيا، مالطا، مولدوفا، روسيا، صربيا، سويسرا،	2-18 تعليق عضوية بيلاروسيا وروسيا بعد فيفري 2022

in London 3-4 December 2019,” <https://shorturl.at/zsYSm>, accessed on 12/08/2024.

⁵ NATO, **NATO 2022 Strategic concept...**, op. cit., p. 5.

¹ Gilli & al, op. cit, p. 13.

² Ibid.

النظام الدولي من "نهاية التاريخ" إلى "نهاية نهاية التاريخ":

تحليل المفهوم الاستراتيجي لحلف الناتو بين 2010 و2022

	طاجكستان، تركمانستان، أوكرانيا وأذربيجان		
2+4	الإمارات العربية المتحدة والبحرين وقطر والكويت (والسعودية وعمان بصفة جزئية)	برنامج التعاون مع دول الخليج العربي	مبادرة اسطنبول للتعاون Istanbul Cooperation Initiative
1-9 يفترض تعليق عضوية أفغانستان في حكم طالبان	أفغانستان (قبل الانسحاب الأمريكي منها)، أستراليا، كولومبيا، العراق، اليابان، كوريا الجنوبية، منغوليا، نيوزيلندا وباكستان.		شركاء حول العالم
1-2+2-38	إجمالي العدد		

من إعداد الباحث بناءً على بيانات الحلف

أبرز مفهوم 2022 تعاظم تأثير الصين التي تحوّلت إلى قوّة منافسة للنظام العالمي الغربي، وهو ما يبدو عبر عدّة مقترحات عبّرت فيها عن خطاب عالمي في شكل مجموعة من المبادرات الدبلوماسية متنوعة. يعكس الخطاب الصين خروجها من استراتيجية دفاعية تاريخية ممثلة في رمزية صور الصين العظيم، في اتجاه استراتيجية عالمية عنوانها "مبادرة الحضارة العالمية 2024"، وذلك عبر تحوّل في الحالة النفسية من التوقع التقليدي إلى الاختراق الاستعماري والاستنزاف الإقليمي إلى قوّة هجومية تعمل على إيجاد عالم متعدّد الأقطاب عبر "عولة صينية موازية" تتحدّى نظام الأحادية القطبية، بما أنّها لا تطمح في الظروف الحالية، ولا تستطيع، خوض مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة.

لتحقيق مشروعها للعولة الموازية، قدّمت الصين مبادرات بدأت من التنمية إلى الأمن وصولاً إلى أخرى شاملة، تعكس تطوّر نهجها العولمي. ففي 15 مارس 2024، قدّمت مبادرة الحضارة العالمية (GCI) بعد مبادرتي التنمية العالمية (GDI) والأمن العالمي (GSI)، اللّتين جمعتا أكثر من سبعين دولة لمواجهة تحديات الفقر، والأمن الغذائي، وأزمة حائجة كورونا 19، وتمويل التنمية، والتغيّر المناخي، والاقتصاد الرقمي في مجال التنمية. أمّا في مجال الأمن الدولي فإنّ الصين تقترح مقاربة تقوم على الحوار واحترام ميثاق الأمم المتحدة، وتعزيز الشراكة بشكل مختلف عن المقاربات الصفيرية التي تعزّز منطق الهيمنة¹ في سعيها لإقامة منظومة موازية للنظام الدولي/الأمريكي القائم دون تسميته، أو ما يسمّيه جون ميركايمر النظام

¹ H.E. Chao Xiaoliang, Initiatives Proposed by China, Fruitful Outcomes Shared by World, Chinese Embassy to Samoa, 2023-05-22, <https://t.ly/p-er->, accessed on 19/07/2024.

المحدود، فهو يميّز بين نوعين من النظم الدولية: النظام العالمي والنظام المحدود، حيث يشمل النظام العالمي كلّ القوى العالمية الكبرى، ويمكن أن يشمل كلّ دول العالم. في المقابل يمتلك النظام المحدود مؤسسات محدودة العضوية،¹ كما هو الحال في مبادرات التنمية والأمن والحضارة الآن. ومن ملامح العولمة الموازية للصين تفوّقها التكنولوجي الذي أصبح تهديداً أساسياً بالنسبة للئاتو، لأنّ التكنولوجيا باتت ساحة جديدة للصراع بين المتنافسين الدوليين، فالفضاء السيبراني يهدّد البنية التحتية الحيوية والخدمات الحكومية، وأمن المعلومات الاستخباراتية والملكية الفكرية، ويعيق الأنشطة العسكرية. كما أنّ التكنولوجيات المستحدثة بإمكانها تغيير طابع الصراع، وأصبحت ساحات رئيسية للمنافسة العالمية وتحتلّ أهمية استراتيجية أكبر، وبذلك تشكّل الأولوية التكنولوجية بشكل متزايد عاملاً مؤثراً. والمنظومة الأوروأطلسية متردّدة في الاختيار القاتل بين التبعية التكنولوجية للصين وإمكانية التخلف التكنولوجي.

كما تحاول الصين الاستفادة من بعض التغيرات العالمية مثل المعارضة المتنامية للعولمة وإكراهات التجارة الحرة، إذ تعمل الحكومات بشكل متزايد على حماية منتوجها الوطني وقطاعات التكنولوجيا؛ وانتشار موجة من الانحسار الديمقراطي طال المجتمع الأوروأطلسي نفسه؛ واضطراب الاستقرار المالي والتعاون في مجال الاقتصاد الكلي بسبب الاستياء المتراكم على مدى العقود الماضية.² يساهم تراكم هذه التغيّرات الخارجية إضافة إلى عوامل الانقسام الداخلي التي سنبحثها في المحور الأخير في تراجع المنظومة الغربية، والانتقال بذلك إلى نظام دولي يبتعد شيئاً فشيئاً عن الهيمنة الأوروأطلسية.

3-عوامل الانقسام في المنظومة الأوروأطلسية والنظام الليبرالي

تشكّل المنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد حسب المفهوم الاستراتيجي 2022 التحدّيات الخارجية التي تواجه الئاتو ومن ثمّ النظام الدولي كما رأينا سابقاً، غير أنّ بعض المفكرين الغربيين مثل جون ميركايمر وإيمانويل تود يدعون إلى الاهتمام بالديناميات الداخلية المنذرة بانهيار المنظومة الأمريكية والغربية بشكل عامّ. فالمنظومة الأوروأطلسية والنظام الليبرالي محكوم بمجموعة من الثنائيات المتناقضة يمكن إجمالها في ثنائيات الليبرالية والسيادة الوطنية؛ والعولمة والهوية القومية؛ والئاتو بين "عدّة الأدوات" وطموح الجيش الأوروبي؛ وأوروبا بين الاستقلالية والتبعية؛ وبين الانفرادية الأمريكية وصعوبات القرار المشترك؛ ومأزق احترام الشرعية الدولية. سنركّز فيما يلي على سياق نهاية "نهاية التاريخ" وتراجع النظام الليبرالي، وتحدي استمرار الرابطة الأوروأطلسية ومأزق الشرعية الدولية كمعالم للنظام الحالي.

¹ Mearsheimer, op. cit, pp. 11-12.

² Gilli & al, op. cit., p. 1.

قرئت نهاية الحرب الباردة على أنّها انتصار غربي، بقيادة الولايات المتحدة، أسّس لنظام دولي قام على اعتقاد خاطئ وهو أنّ كلّ دول العالم ستصبح ديمقراطية ليبرالية، وهو ما عكسه كتاب نهاية التاريخ الرجل الأخير لفوكوياما. في الحقيقة لا يتعلّق الأمر باعتقاد خاطئ يقتضي تحوّل كلّ الدول إلى الديمقراطية الليبرالية من باب الرغبة أو الاستشراف، بل هو سلوك خاطئ يقوم على أنّه "يجب" على كلّ دول العالم أن تصبح ديمقراطية ليبرالية، بما يعني فرض الخيار والهيمنة "الليبرالية" بمنطقها الإحلالي، وهذا تصبح الليبرالية التي كانت تعني الحرّية في الأساس مناقضة لحرّية الدول والمجتمعات في اختيار نمط الحكامة لديها. يعتقد ميركايمر أنّ توسّع عضوية المؤسّسات الغربية وعولمة الاقتصاد وممارسة تأثير قويّ على سلوك الدول الأعضاء بعد نهاية الحرب الباردة قد تمّ وفق نظريات السلام الليبرالي الثلاث وهي المؤسسية الليبرالية، ونظرية الاعتماد المتبادل ونظرية السلام الديمقراطي.¹ وشمل هذا التوجّه الليبرالي العمل على إدماج الصين وروسيا عبر المؤسّسات الدولية لدفعها لأن تصبح ديمقراطية في النهاية، وهو ما تحقّق في الفترة من التسعينيات إلى بداية الألفينيات بانضمام الدولتين إلى المؤسّسات الدولية الكبرى كصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة الدولية، ما شكّل نجاحاً أولياً لمساعي التوسّع والإدماج. بالنسبة ميركايمر، كان دفع الولايات المتحدة لكلّ من روسيا والصين على تبني الليبرالية الديمقراطية عن طريق المنظّمات غير الحكومية عبارة عن قلب للنظام فيهما بشكل يبدو سلمياً وفق سياسة Regim Change الأمريكية. كما تدخلت الولايات المتحدة في الشرق الأوسط أيضاً لإدماجه في النظام الليبرالي عبر اتفاقيات أسلو كحلّ سلمي للصراع العربي ثمّ الفلسطيني مع إسرائيل وإحلال نوع من التعايش السلمي، ثمّ لاحقاً عبر صفقة القرن، في حين استخدمت عقيدة الرئيس جورج بوش لنشر الديمقراطية مبرراً لاحتلال العراق وأفغانستان.²

وتشهد الولايات المتحدة اليوم تراجعاً في كافّة المجالات ترافقت مع أزمات في بنية النظام الليبرالي نفسه الذي يعتقد ميركايمر أنّه يحمل بذور فنائه، فالتوسّع الغربي ولبرلة النظام الدولي وعولمته يشكّلان اعتداءً على السيادة والهوية الوطنية سواءً في الدول الغربية أو في غيرها،³ وهو ما يشكّل أرضية للصراع بين التوجّهات والقوى العولمية من جهة والقومية من جهة أخرى. فيما شجّع التركيز على الحرّية الفردية على تنامي اللّجوء والهجرة عبر سياسة الأبواب المفتوحة في اتفاقية شنغن داخل أوروبا، ممّا ساهم في توسيع الاضطراب الاجتماعي فيها ودفع إلى خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي في 2016. يعتبر ميركايمر الفترة من

¹ Mearsheimer, op. cit., p. 23.

² Ibid, p. 34.

³ Ibid, p. 36.

1990 إلى 2004 فترة ازدهار للنظام الدولي/الأمريكي، غير أنه بدأ في الانهيار فيما بين 2005 إلى 2019 مع سلسلة من الهزائم الأمريكية في العراق وأفغانستان. كما خسرت الولايات المتحدة أيضاً رهانها على المعارضة السورية التي سلّحتها ودرّبتها لإزاحة بشار الأسد في 2011، بسبب التدخل الروسي. وفي ذات الوقت، يواجه الحليف الأوروبي مجموعة من الأزمات الداخلية، كأزمة الديون اليونانية في 2009 التي تحمّلت ألمانيا عبأها لحماية منظومة اليورو من السقوط؛ وصعود اليمين السياسي؛ والبريكسيت؛ وبروز مواقف غير ليبرالية من قادة شرق أوروبا حول المهاجرين؛¹ وتحوّلت الأزمة الروسية الأوكرانية بداية من 2014 إلى حرب في 2022، بسبب توسّع الناتو والاتحاد الأوروبي، وسياسة نشر الديمقراطية في دول كجورجيا وأوكرانيا وحتى روسيا ذاتها عن طريق دعم المعارضة. كما برزت شروخ في العلاقة الأوروأطلسية بسبب سياسات الرئيس ترامب المعادية لكلّ مؤسسات النظام الليبرالي بما فيها الاتحاد الأوروبي والناتو، إذ يعتبر أنّ إدماج الصين ودخولها إلى منظّمة التجارة الدولية كان خطأً، منهيّاً بذلك مساعي إدماج كلّ من الصين وروسيا بمواجهة أصبحت معلنة كما يبيّنه تطوّر وضع الدولتين في المفهوم الاستراتيجي بين 2010 و2022، من وضع الشراكة إلى وضع المنافسة الاستراتيجية واعتبارهما مصدر كلّ التهديدات كما رأينا سابقاً.

وفي ظلّ التراجع الديمقراطي العالمي، ظهرت مخاوف حول مستقبل الديمقراطية حتّى في الولايات المتحدة، خاصّة بعد أحداث اقتحام الكونغرس ورفض الرئيس ترامب تسليم السلطة بصفة سلمية، ما ذكّر الأمريكيين بأيّام الحرب الأهلية التي كانت تبدو بعيدة من زمن آخر. وهي كلّها عوامل تساهم في انهيار النظام الدولي الليبرالي بقيادة الولايات المتحدة حسب ميركايمر.

أمّا تود فهو يركّز على ضعف الولايات المتحدة كمدخل لتفسير التغيّرات الاستراتيجية الراهنة، وانطلق من مساره النقدي لتفكّك النظام الأمريكي عبر كتابه الأوّل المنشور سنة 2002 إلى هزيمة الغرب إجمالاً في كتابه الثاني.² بدأ تود تحليله من ملاحظة مفادها أنّ الولايات المتحدة كانت مصدراً للسلام والاستقرار الدولي، وتحوّلت إلى عامل اضطراب كما في حدث في أفغانستان والعراق وغيرهما. كان هدف كتاب تود هو "اقتراح نموذج تفسيري للسلوك الدولي للولايات المتحدة،"³ وبالتالي لهذا التحوّل، واستند إلى فكرة رئيسية هي أنّ التفسير لا ينبغي أن يكون في قوّة الولايات المتحدة بل في ضعفها.

¹ Ibid, p. 29.

² Emmanuel Todd, **Après l'empire - Essai sur la décomposition du système américain**, éditions Gallimard, 2002; Todd, **La défaite de l'Occident**, op. cit.

³ Todd, **Après l'empire ...**, op, cit., p. 14.

يعتقد تود أنّ الولايات المتحدة في تراجع عسكري، وإيديولوجي واقتصادي مزمن، فقد ربح في الحرب العالمية الثانية بفضل الجيش السوفييتي في الجبهة الشرقية، وانهزمت في باقي الحروب التي خاضتها بداية من فيتنام ونهاية بانسحابها المتسرع من أفغانستان في 2021. في حين أظهرت الحرب الروسية الأوكرانية بداية من فيفري 2022 مواطن خلل هيكلية في المنظومة العسكرية الأوروبية، فعلى غير المتوقع عجزت الصناعة العسكرية الأمريكية على تأمين إمداد أوكرانيا بالسلح والذخيرة.

فيما انسأقت أوروبا في هذه الحرب وراء الولايات المتحدة فيما يشبه الانتحار من خلال تسليم ألمانيا بتخريب خطوط أنابيب الغاز "نورد ستريم"، والتي كانت تضمن جزئياً إمداداتها الطاقوية من روسيا، وهو عمل إرهابي موجّه ضدها بقدر ما كان ضدّ روسيا، ارتكبه "الحامي" الأمريكي بالاشتراك مع النرويج، وهي دولة لا تنتمي إلى الاتحاد الأوروبي، رغم تحقيق الصحفي الاستقصائي سيمور هيرش Seymour Hersh الذي أكّد وقوف الولايات المتحدة وراء تفجير خطّ الأنابيب¹. ويتوافق ذلك مع تراجع للدور الفرنسي في السياسة الدولية مع رئاسة إيمانويل ماكرون، ومساندة بولونية مطلقة للولايات المتحدة خلفاً لبريطانيا بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي، وبذلك أزيح محور باريس-برلين التقليدي في القرار الأوروبي لفائدة محور لندن-فارسوفيا-كييف بقيادة واشنطن².

أما الناتو فهو يواجه تحدّي ضمان الوحدة داخل صفوفه في تسيير الاختلاف حول التهديدات الملحّة والأولويات الأمنية كالإرهاب، وروسيا، والصين، والهجرة والطاقّة، رغم وجود توافق حول اعتبار روسيا تهديداً تماثلياً، واعتبار الإرهاب تهديداً لا تماثلياً يمكن مواجهته بالتعاون المستمرّ مع شركاء الحلف وهم العراق، والأردن وإسرائيل³. وفعالية الناتو محكومة بمدى قدرته على المحافظة على التوافق بين أعضائه، وهذا ما يحيل إلى إشكالية وجودية بالنسبة إليه، وهي أنّ استقلالية القرار الأوروبي في المسألة الأمنية تعني الانقسام وانحلال الرابطة الأوروبية، بينما تعني الوحدة التبعية الوظيفية للولايات المتحدة.

استغرق الانسجام الحاصل في الحلف لصالح واشنطن، كما يبدو عقب الحرب الروسية الأوكرانية، مراحل عدّة ليستقرّ، فقد كان صنع القرار في التحالف خلال الحرب في كوسوفو في 1998، كأول تدخل

¹ Le Temps, « Un ancien prix Pulitzer accuse les Etats-Unis d'avoir saboté Nord Stream, » 10/02/2023, sur le lien: <https://t.ly/VF6MK>, accédé le 02/08/2024.

² Todd, **La défaite...**, op, cit., p. 3.

³ Wojciech, Lorenz, "Israel's War with Hamas Brings Consequences for NATO," bulletin of The Polish Institute of International Affaires (PISM), NO. 162 (2281), 9/11/2023, p. 1.

للحلف بعد الحرب الباردة، أقرب إلى "الحرب عبر اللّجنة"، إذ مارس بعض الأعضاء حقّ النقض ضدّ اختيار أهداف الحرب، وهو ما قامت به فرنسا بشكل متكرّر، وذلك بسبب وجود خلاف جوهري بين المقاربة الأمريكية التي تعتبر حلف الناتو مجرد "علبة أدوات" عسكرية، ومقاربة أوروبية ترى أنّ التوجّه الأمريكي لا يخدم استمرار العلاقة الأوروأطلسية، لذلك قرّرت قمة براغ 2002 في منحى استقلالي التحول من مقاربة علبة الأدوات إلى هيكل مزوّد بقوة عسكرية مشكّلة من 25 ألف عنصر.¹

أنتجت "الحرب عبر اللّجنة" سلسلة من نقاط الضعف العملية والتكتيكية، حيث وجد أعضاء الناتو صعوبة في الاتّفاق على نهج مشترك خلال عملية كوسوفو.² وفي الحرب على أفغانستان كان رفض وزير الدفاع الأمريكي دونالد رامسفيلد لأيّ دور للناتو مفاجئاً من نواحٍ كثيرة، رغم الإعلان على تفعيل المادة الخامسة من اتّفاقية الحلف بعد أحداث 11 سبتمبر التي تعتبر أنّ أيّ اعتداء على عضو يعني الاعتداء على الجميع. وبناءً عليه، طلب الرئيس بوش الابن من بعض الحلفاء ما تحتاجه الولايات المتّحدة، دون إشراك الحلف ككلّ، بهدف تسريع ردّة الفعل، وهو ما اعتبر انفراداً بالقرار الأمني الدولي. يعزّز مدير سياسة البنتاغون العقيد مارك سوليفان هذا التوجّه حينما يقول: "عندما تتصرّف دولة ما بطريقة مستقلّة خارج التحالف، يمكنها التصرف بسرعة أكبر، فهي ليست مجرد عملية صنع للقرار بل القدرة على جلب الموارد، لقد تمكّنا من التصرف بسرعة أكبر من خلال عدم المرور عبر الناتو."³

عملت فرنسا في حربي أفغانستان والعراق كعامل كابح للهيمنة الأمريكية بوجود شخصيات بحجم الرئيس جاك شيراك المتمسّك بالقيم الديغولية الميالة للاستقلال والسيادة الفرنسية في قرارها الدولي، وهو ما جعلها تنسحب من الحلف مدّة ثلاثين سنة منذ 1966، بينما تعاني أوروبا اليوم ركناً للقوّة الأمريكية وأزمة في القيادة، ولم تعد في استطاعة كلّ من فرنسا وألمانيا لعب دور المعارضة كما فعلتا في اجتماع لقادة مجموعة الثماني في يونيو 2004 حول العراق.

إضافة إلى تحدي الانقسام داخل الناتو وتفكّك العلاقة الأوروأطلسية التي يركّز عليها المفهوم الاستراتيجي 2022، يبرز تحدّي آخر يتمثّل في عدم احترامه للشرعية الدولية، وهو مؤشر سيكون له تداعيات كبرى على مستقبل الحلف في الصراعات الدولية المحتملة. فقد ساهم الحلف في عمليات عسكرية عديدة دون غطاء شرعي، كما في أفغانستان والعراق وليبيا، وهو ما يتّضح أيضاً في موقفه من تطوّرات القضية الفلسطينية حين وصف حركة المقاومة الإسلامية حماس بالإرهاب تماهياً مع الموقف الإسرائيلي بعد

¹ Ellen, Williams, "Out of Area and Very Much in Business? NATO, the U.S., and the Post-9/11, International Security Environment," Comparative Strategy, vol. 27 no. 1, 2008, p. 74.

² Ibid, p. 67.

³ Ibid, p. 69.

السابع أكتوبر 2023. لقد تصدّرت جنوب إفريقيا غير المعنية مباشرة بالصراع العربي الإسرائيلي المشهد بمرافعتها ضدّ إسرائيل أمام المحكمة الجنائية الدولية لصالح الطرف الفلسطيني، فهل يمكن لجنوب إفريقيا أن تدعم الإرهاب وهي التي انضمت إليها دول أخرى كأطراف في القضية؟¹ وكيف يمكن وصف الموقف الدولي المساند لقرار وقف إطلاق النار الذي اضطرت الولايات المتحدة معه مراراً إلى استعمال الفيتو لعدم إجازته؟

بعد أسبوع من عملية طوفان الأقصى التي أطلقتها حماس وفصائل المقاومة الفلسطينية، عبّر الناتو على تضامنه مع إسرائيل بمشاركة وزيرها للدفاع في اجتماع لوزراء الدفاع في الحلف عقد في 12 أكتوبر 2023. أدانت دول الناتو في الاجتماع ما سمّته "الهجمات الإرهابية المروعة" التي ارتكبتها حماس ضدّ إسرائيل، إذ صرّح الأمين العامّ للحلف ينس ستولتنبرغ أنّ الحلف يدين بشدّة تلك الهجمات الإرهابية، مضيفاً أنّ "إسرائيل ليست وحدها".² كما أكّد الحلفاء تضامهم مع إسرائيل وحقّها في الدفاع عن نفسها بشكل متناسب ضدّ "الأعمال الإرهابية غير المبرّرة".³ وعلى الرغم من أنّ بعض الحلفاء مستعدّون لتقديم المساعدة السياسية والعملية لإسرائيل، فإنّ الحلف نفسه لن يخوض معركة ضدّ حماس، وسيقتصر دوره على التعاون الاستخباراتي، إلّا في حالة توسّع الحرب مع إيران.

ولا تزال تبعات هذا الموقف متواصلة على المدينين القريب والبعيد، فقد زادت التوتّرات الاجتماعية داخل دول الناتو، من خلال المظاهرات الداعمة لفلسطين كما حدث في الجامعات الأمريكية والغربية عموماً،⁴ وتعرّضت القوّات الأمريكية المتمركزة في العراق وسوريا وسط ضغوط محلية للانسحاب. وتزايد التصعيد اليميني في البحر الأحمر ممّا زاد من عبء تأمين طرق الإمداد الطاقوي العالمية،⁵ وهو ما يضع الحلف أمام تحدٍّ جديد يتمثّل في تعدّد الجبهات وتزامنها.

¹ الجزيرة نت، "تعرف على الدول التي انضمت لجنوب أفريقيا في دعواها ضد إسرائيل"، 2024/05/15، على الرابط: <https://shorturl.at/GLA6Z>، تمّ التصفّح في 2024/09/16.

² OTAN, « Déclaration du secrétaire général de l'OTAN: 'Israël n'est pas seul,' 12/10/2023, <https://shorturl.at/2pxZf>, accédé le 21/10/2023.

³ Ibid.

⁴ كارلا بلايكر، "ماذا وراء الاحتجاجات الطلابية ضد حرب غزة في جامعات أمريكية؟"، 2024/04/24، ديتش فيلي العربية، على الرابط: <https://rb.gy/h22iy7>، تمّ التصفّح في 2024/09/16.

⁵ Lorenz, op. cit., p. 2.

يعني موقف الناتو في العدوان على غزة الوقوف في الجهة الخطأ في مسار التاريخ مرة أخرى، بوقوفه ضد مسار الاستقلال ومناهضة الاحتلال بعد الحرب العالمية الثانية، حين طلبت فرنسا مثلاً من حلفائها تمويل عملياتها العسكرية تحت مظلة الحلف في حربها ضد الهند الصينية (فيتنام الحالية) بين 1946 و1954.¹ وفي ذات المسار، استعملت الولايات المتحدة حقّ الفيتو أربع مرّات ضدّ مشاريع لوقف إطلاق النار في غزة، في حين دعمتها كلّ من روسيا والصين. ترسم هذه المواقف تصوّر الطرفين حول الشرعية الدولية والمحددات المستقبلية التي ستحكم التنافس بينهما خاصّة في مجال السلم والأمن الدوليين. وتكمن الإشكالية لدى الناتو في التناقض الوجودي الذي يمثّله الموقف تجاه القضية الفلسطينية، فالدعم اللامشروط لإسرائيل كقوة احتلال يعني بالضرورة الاستمرار في الخروج عن الشرعية الدولية وهي إحدى مؤسّسات النظام الليبرالي، وهو ما يمثّل تحدياً آخر يرهّن مستقبل الحلف وهو تكلفة حماية الشريك الإسرائيلي خاصّة بعد السابع من أكتوبر، فما هي حدود هذا الدعم وقد راح ضحية العدوان الإسرائيلي أكثر من 41 ألف شهيد من المدنيين حسب وزارة الصحة الفلسطينية؟² وهل هذا سيتحمّل استمراره خارج الشرعية الدولية خاصّة مع تعاظم الرفض الشعبي لهذا العدوان داخل دول الحلف وضغوط المنظّمات الدولية كالأمم المتّحدة؟ علماً بأنّ تركيا الدولة العضو في الحلف تعتبر حماس حركة تحرير وطنية وليست إرهابية.³

يبين تصويت أعضاء الناتو في الجمعية العامّة للأمم المتّحدة في 27 أكتوبر 2023 لوقف إطلاق النار⁴ معالم الانقسام داخل الناتو وعلى المستوى الدولي، وهو ما يعزّز ثنائية الغرب/باقي العالم The West and the rest، ممّا يجعل المنظومة الغربية في تناقض مباشر مع المؤسّسات الليبرالية العالمية التي أنشأتها هي نفسها، وهو ما يصبّ في النهاية في صالح المنافسين الاستراتيجيين المناوئين. كما حصل مشروع قرار آخر في

¹ عمارة وترويار، مرجع سابق.

² الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، "إحصائيات مجموع شهداء غزة"، على الرابط: <https://shorturl.at/Tc8qy>، تمّ التصفّح في 2024/09/16.

³ العربي الجديد، "أردوغان: سواصل اعتبار 'حماس' حركة تحرر وطني"، 2024/04/26، على الرابط: <https://rb.gy/l5d37f>، تمّ التصفّح في 2024/09/16.

⁴ صوّتت كرواتيا، وتشيكيا، والولايات المتّحدة ضدّ قرار وقف إطلاق النار، بينما امتنعت كلّ من ألبانيا، وإستونيا، وألمانيا، وأيسلندا، وإيطاليا، وبلغاريا، وبولندا، والدانمرك، ورومانيا، وسلوفاكيا، وفنلندا، وكندا، ولاتفيا، وليتوانيا، والمملكة المتّحدة، وهولندا، واليونان عن التصويت، فيما أيّدته كلّ من بلجيكا، والجبل الأسود، وفرنسا، ولكسمبرغ، والنرويج، والبرتغال، وسلوفينيا، وإسبانيا وتركيا.

10 ديسمبر 2023 بتصويت أغلبية 153 صوتاً مقابل 10 أصوات هي إسرائيل، وبابوا غينيا الجديدة، وباراغواي، والجمهورية التشيكية، وغواتيمالا، وليبيريا، وولايات ميكرونيزيا الموحدة، وناورو، والنمسا والولايات المتحدة الأمريكية، وامتناع 23 عضواً عن التصويت، خلال استئناف دورتها الاستثنائية الطارئة العاشرة بشأن الأعمال الإسرائيلية غير القانونية في باقي أنحاء القدس الشرقية المحتلة.¹ كان التصويت العدمي للولايات المتحدة ضد مشروع الهدنة رفضاً للقيم الإنسانية المشتركة،² وتراكم هذه المواقف لن يكون في صالح النظام العالمي بصيغته الحالية.

• خاتمة

إنّ دراسة المفهوم الاستراتيجي في حلف الناتو، باعتباره أحد مرتكزات النظام الدولي لما بعد الحرب العالمية الثانية، مهمّ للغاية فالمفاهيم الاستراتيجية تمثّل أرشيفاً للمشهد الاستراتيجي الدولي من وجهة نظر المنظومة الأوروأطلسية الغربية، وهو ما يبيّنه المفهوم الاستراتيجي 2022، المعتمد في قمة مدريد في جوان 2022 والمعدّل للمفهوم الاستراتيجي 2010، الذي عرض ملامح تغيير جوهري في النظام الدولي. من خلال المقارنة بين المفهومين الاستراتيجيين للناتو 2010 و2022، حاولت الدراسة تلمّس ملامح النظام الدولي الذي لا يزال قيد التشكّل بعد 2022، لكن من المؤكّد أنّه يقع بين نهاية "نهاية التاريخ" الموافقة للحظة النشوة بالانتصار الغربي على المعسكر الشرقي بنهاية الحرب الباردة واستقرار السلام بالمنظور الأمريكي، وهو ما كانت تعكسه المفاهيم الاستراتيجية 1991، و1999 و2010؛ وبين عودة المنافسة الاستراتيجية وصعود قوى الاستبداد غير الليبرالية، ما يبرّر طرح فرضية انهيار النظام الليبرالي الغربي والبدائل المحتملة.

سعت الدراسة إلى الإجابة على الإشكالية المتعلقة بملامح النظام الدولي الذي ترسمه التطوّرات المرصودة في المفهوم الاستراتيجي: الناتو 2022 مقارنة بالمفهوم الاستراتيجي 2010، مفترضة أنّ المفهوم الاستراتيجي 2022 رصد التحدّيات الخارجية التي تواجه الحلف وأبرزها صعود المنافسة الاستراتيجية للمنظومة

¹ UN General Assembly, "General Assembly Adopts Resolution Demanding Immediate Humanitarian Ceasefire in Gaza, Parties' Compliance with International Law, Release of All Hostages," Tenth Emergency Special Session, 45th Meeting, 12 December 2023, <https://shorturl.at/SD14R>, accessed on 15/3/2024.

² Todd, *La Défaite...*, op.cit., p. 218.

الأوروأطلسية ممّا قد يمهّد لنظام دولي متعدّد الأقطاب، ويبقى ذلك متعلّقاً بالمعادلة التي تجمع بين العامل الخارجي المتمثّل في المنافسة الاستراتيجية للنظام الدولي الحالي وعوامل انقسامه الداخلي. تغيّرت طبيعة التهديدات الأمنية التي تواجه الناتو من تقليدية إلى وجودية، فقد كانت تقليدية في المفهوم الاستراتيجي 2010، بينما تحوّلت في المفهوم الاستراتيجي 2022 إلى تهديدات وجودية ممثلة في روسيا والمنافسة الاستراتيجية وقوى الاستبداد، وهو ما يعني خروج المسألة الأمنية من الاعتبارات الموضوعية إلى خانة الإيديولوجيا، واستبعاد مبدأ التعايش بين التوجّهين في نظام دولي واحد وحتمية الصراع بينهما. يواجه الناتو مأزق دبلوماسيته الأمنية وتمدّده الجغرافي والسياسي الذي ساهم في رفع عدد أعضائه إلى 32 عضواً وحوالي 38 شريكاً بعد الحرب العالمية الثانية والحرب الباردة، حيث كان السبب غير المباشر في الحرب الروسية الأوكرانية، إذ توجّه إلى استقطاب دول المعسكر الشرقي السابق، ما اعتبرته روسيا اعتداءً على مجالها الحيوي، فتدخلت بضمتها شبه جزيرة القرم في 2014، ثم أعلنت عن عمليات خاصة في أوكرانيا في 2022. غير أنّ الحلف لم يهدئ من مخاوف روسيا بشأن سياسته التوسّعية، وبحث بدلاً من ذلك في قمّة برشلونة 2022 سبل دعم أوكرانيا، وأمعن في حصار روسيا جغرافياً من خلال دعوة فنلندا والسويد للانضمام إلى الحلف، وهو ما حدث تباعاً في 2023 و2024 بغرض "تعزيز الأمن الأوروأطلسي" ولو على حساب القوى الأخرى، وهو ما يعني إعلان المواجهة الاستراتيجية.

إنّ العامل المشترك بين حلف الناتو والقوى الاستراتيجية المنافسة له هو استراتيجية التوسّع. وإن كان توسّع الناتو، منذ إنشائه في 1949 حقيقة ليست في حاجة إلى دليل، فإنّ المنافسين سيضطرون للدفاع عن موقعهم الاستراتيجي بوقف توسّع الناتو وتبنيّ التوسّع المضادّ، كما تفعله الصين بسعيها إلى عولمة موازية، علماً أنّ السياسات التوسّعية قد كانت هي السبب في الحروب بين القوى الكبرى في أوروبا. وما لم يتفق اللاعبون في هذه الساحة الاستراتيجية على التعاون والحوار بدلاً عن التوسّع والصراع، فإنّ الوضع الدولي سينجرّ إلى مرحلة جديدة من الانقسام والصراع الاستراتيجي تستعمل فيه كلّ أنواع القوّة المتاحة، قد تكون الحرب الروسية الأوكرانية أولى تجلّياتها البارزة مع استفحال الصراع الاقتصادي والتكنولوجي المفتوح.

تحوّلت روسيا والصين من موقع الشراكة إلى موقع المنافسة الاستراتيجية في المفهوم الاستراتيجي 2010، إلى تهديد استراتيجي للسلام الأوروأطلسي، وبذلك يبرز تحدّي الصعود الصيني والآسيوي الذي يؤكّد ما ذهب إليه إيريك رينغمار حيث لم يعد لأوروبا وأمريكا الشمالية الدور الأساسي في السياسة الدولية كما في القرن الماضي، كما أنّ دورهما في المستقبل سيكون أقلّ أهميّة.

إضافة إلى التحدّيات الخارجية، يلتفت إيمانويل تود وجون ميركايمر الانتباه إلى عوامل الانقسام في النظام الدولي الغربي ومركزيته الأوروأطلسية الذي تحكمه مجموعة من الثنائيات المتناقضة مثل ثنائية الليبرالية والسيادة الوطنية؛ والعولمة والهوية القومية؛ وأوروبا بين الاستقلالية والتبعية؛ وبين الانفرادية الأمريكية وصعوبات القرار المشترك؛ ومأزق احترام الشرعية الدولية، وهي التناقضات التي من شأنها تهديد استمرار

الرابطة الأوروبية الأطلسية والريادة الغربية، ومن ثمَّ خطر الانقسام والتراجع أمام المناوئين الاستراتيجيين، وهو ما حدا بالمفهوم الاستراتيجي 2022 التركيز على أولوية دعم العلاقة الأوروبية الأطلسية، لكنّه يغفل في الوقت نفسه يعجز عن فهم المشهد الدولي الحالي الذي يتوسّع فيه الشرخ بين الغرب وباقي العالم.

المصادر والمراجع

- باللغة العربية:
- بلايكر كارلا، (2024/04/24)، "ماذا وراء الاحتجاجات الطلابية ضدّ حرب غزة في جامعات أمريكية؟"، ديتش فيلي العربية، على الرابط: <https://rb.gy/h22iy7>، تمّ التصفح في 2024/09/16.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، "إحصائيات مجموع شهداء غزة"، على الرابط: <https://shorturl.at/Tc8qy>، تمّ التصفح في 2024/09/16.
- الجزيرة نت، تعرّف على الدول التي انضمت لجنوب أفريقيا في دعواها ضدّ إسرائيل، 2024/05/15، على الرابط: <https://shorturl.at/GLA6Z>، تمّ التصفح في 2024/09/16.
- العربي الجديد، "أردوغان: سنواصل اعتبار 'حماس' حركة تحرّر وطني"، 2024/04/26، على الرابط: <https://rb.gy/l5d37f>، تمّ التصفح في 2024/09/16.
- عمارة حسين وترويار ستيفاني، حلف الأطلسي والولايات المتحدة: علاقة تميزت بالعديد من الأزمات، موقع فرانس 24، 2024/02/19، على الرابط: <https://rb.gy/d5jbfk>، تمّ التصفح في 2024/09/09.
- باللغة الأجنبية
- NATO, **NATO 2022 Strategic Concept: Adopted by Heads of State and Government at the NATO Summit in Madrid 29 June 2022.**
- OTAN, **Concept stratégique pour la défense et la sécurité des membres de l'Organisation du Traité de l'Atlantique Nord: adopté par les chefs d'État et de gouvernement au sommet de l'OTAN à Lisbonne**, Division Diplomatie publique de l'OTAN, Bruxelles, Belgique, 19-20 novembre 2010.
- OTAN, **Rapport annuel 2013 du secrétaire général Anders Fogh Rasmussen: 'Vers le sommet de 2014 et l'OTAN de demain,'** Division Diplomatie publique de l'OTAN, Bruxelles, Belgique.
- UN General Assembly, 'General Assembly Adopts Resolution Demanding Immediate Humanitarian Ceasefire in Gaza, Parties' Compliance with International Law, Release of All Hostages,' Tenth Emergency Special Session, 45th Meeting, 12 December 2023.

- Ringmar Erik, **History of International Relations: A Non-European Perspective**, Cambridge, UK.
- Todd Emmanuel, **Après l'empire: Essai sur la décomposition du système américain**, Editions Gallimard, France, 2002.
- _____, **La défaite de l'Occident**, Editions Gallimard, France, 2024.
- Berti, Benedetta. Foreword. In Andrea Gilli & al, **Strategic Shifts and NATO's new Strategic Concept**, NDC Research Papers Series, NDC Research Paper 24, NATO Defense College, Rome, Italy, June 2022, pp. xv-xvi.
- Gilli Andrea & al, **Strategic Shifts and NATO's new Strategic Concept**, NDC Research Papers Series, NDC Research Paper 24, NATO Defense College, Rome, Italy, June 2022.
- Heisbourg, F, 'NATO 4.0: The Atlantic Alliance and the Rise of China,' **Survival**, 62: 2April-May 2020, pp. 83-102.
- Mearsheimer, J. J, 'The Rise and Fall of the Liberal International Order,' **International Security**, Harvard College and the Massachusetts Institute of Technology, 43:4, pp. 7-50.
- Williams, E, 'Out of Area and Very Much in Business? NATO, the U.S., and the Post-9/11, International Security Environment,' **Comparative Strategy**, 27:1, pp. 65-78.
- OTAN., 'Les concepts stratégiques,' disponible sur le lien: <https://rb.gy/udnoss>, accédé le 10/26/22.
- OTAN. 'Le sommet de Madrid se clôt sur des décisions très importantes visant à transformer l'OTAN, 30-Jun.-2022,' disponible sur le lien: <https://t.ly/CPSbs>, accédé le 30/11/2023.
- NATO. 'London Declaration: Issued by the Heads of State and Government participating in the meeting of the North Atlantic Council in London 3-4 December 2019,' available at <https://shorturl.at/zsYSm>, accessed on 12/08/2024.
- Xiaoliang, H E Chao, 'Initiatives Proposed by China, Fruitful Outcomes Shared by World,' Chinese Embassy to Samoa, available at <https://t.ly/p-er->, accessed on 19/07/2024.
- Le Temps. 'Un ancien prix Pulitzer accuse les Etats-Unis d'avoir saboté Nord Stream,' disponible sur le lien: <https://t.ly/VF6MK>, accédé le 02/08/2024.
- OTAN, 'Déclaration du secrétaire général de l'OTAN: «Israël n'est pas seul»,,' disponible sur le lien: <https://shorturl.at/2pxZf>, accédé le 21/10/2023.